

لَمْ تَمَسَّهُ يَدُ الْإِصْلَاحِ مُنْذُ بَنَتْهُ وَكَالَةَ الْغَوْتِ فِي أَحَدِ مُعْسَكَرَاتِ اللَّاجِئِينَ، بَيْنَ وَالدِّينِ كُتِبَ عَلَيْهِمَا الشَّقَاءُ وَالْعَنَاءُ وَالْمُكَابَدَةُ مِنْ كَثْرَةِ الْعِيَالِ وَتَرَاحُمِ الْأَقْوَاهِ عَلَى لُقْمَةِ الْعَيْشِ. كَانَتْ رَجَاءُ بَكَرِ أَبَوَيْهَا، دَفَعَهَا مَرَضٌ أُمِّهَا إِلَى تَرْكِ الْمُدْرَسَةِ إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ، وَوَجْهَ الْمُدْرَسَةِ الشَّابِّ الْمُتَفَتِّحِ لِلْحَيَاةِ وَالْمُسْتَقْبَلِ. وَفِي عَمْرَةٍ الصَّرِاعِ الْمَادِي الْعَنِيفِ تَفَتَّقَ ذَهْنُ الْوَالِدِ عَنْ أُمِّهَا الذَّابِلِ الْحَزِينِ بِوَجْهِ مَشْرُوعٍ يَزِيدُ بِهِ دَخَلَ الْأُسْرَةَ، فَابْتَعَ بَقْرَةً حَلُوبًا نَظِيرَ التَّنَازُلِ عَنْ مَصَاعِ زَوْجِهِ الَّذِي احْتَفَظَتْ بِهِ مُنْذُ زَوَاجِهِمَا . ● المصاغ : الحلي وقد ألقى هذا المشروع الجديد مزيداً من المتاعب على الفتاة، فكانَ لزاماً عليها أن تذهبَ في رحلةٍ يوميةٍ شاقَّةٍ، تَحْمِلُ . أو الذهب كانت الفتاة تقطع الطريقَ الترابي الطويل، حافية القدمين، تسترُ جسمها النحيل وعاء اللين على رأسها؛ لتوزعه على بيوت المترفين الخضراوات . بأسمال باهية قديمة، تنظر بعينين يملؤهما الحزن والانكسار إلى كل ما يصادفها : واجهات المحال التجارية والخبرة بالحياة، وإحساساً متنامياً بتصرفات والفواكه. كانت تتأمل في صمته . وقد أكسبتها مشاويرها اليومية مزيداً من الجلد البشر، أعجبها نداء البائعين وأغانيتهم: (مال الشيخ عجلين يا عنب) . (حلاوة يا شمام). وعيونها معلقة بكومة العنب التي صفت تنظر إلى الزبائن الذين يساومون . ويتذوقون عنقيد العنب؛ ليتأكدوا - يساوم : يفاوض للاتفاق . عنقيدها في شكل هرمي جميل في تلك اللحظة لاحت في مخيلتها صورة والدها مكباً على قطف عنقيد العنب من المزرعة التي يعمل فيها . من نضجه وحلاوته العمال عند مغادرتهم (هذه الأيام، يتذوقها ، ولكنه لا يستطيع أن يحضر إلى بيته ولو حبة واحدة، إذ إن صاحب العمل يراقب المزرعة . ويعتذر لهم بأن العنب في أول الموسم، وهو عالي الثمن. تذكرت ما قاله والدها وقد ارتسمت على وجهه علامات الكآبة . العمال أن يعطينا ما نريد من العنب آخر الموسم". شهيتها إلى حبة عنب تزداد . تسمرت قدماها بجانب لقد وعدنا المسؤول عن محتدماً بين الشهوة البسطة . أيجل لها أن تحتلس حبة لتذوقها ؟ نحت الفكرة جانباً . تحسست ما بيدها من حصيلة بيع الحليب؛ لم تنبس بكلمة واحدة، واستسلمت ليوم، ابتعدني عن البسطة، والفعل، صدمتها يد هوت على صدغها، وطيرت الشرر من عينيها عميق . أمطار تهطل بغزارة . إنه الطوفان . إنه الغرق . ها هي الشمس تتوسط كبد السماء كبيرة) عظيمة . على جدرانها تلتف الأزاهير والورود . ملابسهم جميلة أخادة، العنب كثير والباعة يمازحون